



عنوان المقال: "الخطاب الديني في الجزائر، واقع وتقليد، قصصية وتجديد" "Religious discourse in Algeria, reality and tradition, intent and renewal"

الدكتور عياد بلمهدي
الجامعة: جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف

ملخص:

إن محاولة دراسة الخطاب الديني في الجزائر تحتاج إلى ضبط وتحديد مفاهيم كثيرة متعلقة بالتراث الديني، والتقليد والتجديد، وقصصية الخطاب ومنطلقاته وضوابطه ومآلاته، وآليات اشتغاله وعرضه وتلقيه، وإلحاق ما هو معاصر بوقائع تراثية، والتكيف مع المستجدات التي يفرزها الواقع المتغير. من هذه المعطيات جاءت مداخلتي التي تحمل عنوان "الخطاب الديني في الجزائر، واقع وتقليد، قصصية وتجديد"

فهل واكب الخطاب الديني في الجزائر المتغيرات والمستجدات؟ وهل هناك ضرورة لتجديده؟ وما هي آليات التجديد التي تحافظ على مقصد الشرع وفقه الأوليات؟.. هذه التساؤلات وغيرها نحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني، التقليد، التجديد، القصصية

Abstract:

The attempt to study religious discourse in Algeria needs to control and define many concepts related to religious heritage, tradition and renewal, and its intent, discourses, controls and fates, the mechanisms of its operation, presentation and receipt, and the attachment of contemporary realities, and adapt to the developments brought about by changing reality.

From this data came an intervention entitled "Religious discourse in Algeria, reality and tradition, intent and renewal."

Has the religious discourse in Algeria kept pace with the changes and developments? Is it necessary to renew it? What are the mechanisms of renewal that maintain the intent of Shari'a and jurisprudence of priorities? .. These and other questions we try to answer them through this research.

Keywords: Religious discourse, tradition, renewal, intent

الخطاب الديني خطاب عالي للناس جميعا، فخلال مدة وجيزة لا تتعدى مائة عام، صار القرآن الكريم والسنة النبوية منهاج حياة لأمة عظيمة، تمتد مساحتها من الصين شرقا إلى المغرب والأندلس غربا، وبعد تعاقب الأزمان أصبح الخطاب الديني مصدر هداية لملايين البشر في أرجاء المعمورة.

وبمقتضى هذه المرجعية الكبرى التي نالها هذا الخطاب في فضاء الثقافة العربية الإسلامية، فإن كثيرا من الدارسين والمشتغلين بمنهج تحليل الخطاب، وتفسير النص، شرعيا كان أم لغويا وخاصة النص الديني، اختاروا وصف الثقافة العربية الإسلامية بأنها ثقافة نص، وهذا الوصف يعود أساسا إلى كون الثقافة الإسلامية قامت في أصولها الأولى على الاشتغال على النص المؤسس الذي هو القرآن الكريم والسنة النبوية.

والخطاب الديني اكتسب موقعا خاصا ومكانا مميزا في دراسة السابقين والمعاصرين، وحظي بعناية هامة من طرف علماء الإسلام وغيرهم، لأن محورية هذا الخطاب تخدم جميع العلوم اللغوية والبيانية والبلاغية والدلالية والمعجمية والأسلوبية، فهي تخدم النص في عدد من مستوياته ومكوناته، فلا غرو أن نجد زخما معرفيا كبيرا وثراء غنيا حافلا بالمؤلفات والدراسات والبحوث حول الخطاب الديني خاصة في وقتنا الراهن، فما دون من مؤلفات، وما خط من كتابات، وما أنجز من بحوث ودراسات، وما عقد من ندوات ومؤتمرات، وكل اللقاءات البحثية التي تنجز وتعد باستمرار، وبشكل دائم ومستمر، يدل ذلك على الاهتمام البالغ والكبير من هؤلاء النخب الفكرية والقامات العلمية السابقة من باحثين ونقاد ومفكرين وأساتذة بهذا الخطاب الديني المعاصر، وما اجتماعهم هذا ولقاؤهم، إلا خدمة لهذا الخطاب الديني، والدعوة إلى تجديده وفق الضوابط الشرعية وعصرنة آلياته خدمة لكتاب الله ومواكبة للتطور العلمي والتكنولوجي، ومسايرة للعولمة.

كما أن الندوات العلمية التي تعقد غالبا ما يتجاذبها طرفان:

- أحدهما إيجابي وهو كل ما يتعلق بجهود الباحثين المنصفين، وما قدموه من جهود علمية مرموقة،
- والثاني سلبي، وهو ينطلق من منهج الطعن والتشكيك في الخطاب الديني والذي هو ديدن المستشرقين، وهو نابع من اعتمادهم على مصادر غير متخصصة في الأدب والتاريخ والرحلات وغيرها.

وعليه فالعديد من اللقاءات العلمية في مجال دراسة الخطاب الديني انتقلت بسرعة نوعية واضحة وملموسة في السنوات الأخيرة من التنظير إلى التطبيق، وركزت في طرحها على قضايا التجديد في المناهج والجودة في التعليم، كالمؤتمر الذي عقد بالمملكة العربية السعودية سنة (2015) المؤتمر الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، هدفه تحديد بيئة تعليمية مناسبة وعرض البرامج والتجارب العلمية الرائدة، وكذا مشاريع البحث المتخصصة.

- مفهوم التجديد:

أ- لغة: أصل الجَدَّ في اللغة: القطع، يقال جددت الشيء فهو مجدود وجديد، أي مقطوع، ومنه قولهم: ثوب جديد، أي مقطوع، كأن ناسجه قطعه الآن¹، هذا هو الأصل، ثم جعل لكل ما أحدث إنشاؤه، قال الله تعالى: «بَلِّغْهُمْ فِي رَبِّهِمْ مَخْلَقَ جَدِيدٍ»²، إشارة إلى النشأة الثانية³. ثم شاع هذا الاستعمال، فصار الجديد وصفا في كل مالم تأت عليه الأيام، وهذا الاستعمال هو الذي نجده في كافة القواميس.

فجدَّ الشيء جدَّة بالكسر صار جديدا، والجديد نقيض الخَلْق، والخَلْق: القديم، فالجديد خلافا للقديم، وجدد الشيء يجده: صيره جديدا، أي: جعله جديدا، أي حول القديم فجعله جديدا والجديدان: الليل والنهار؛ لأنهما لا يبيلان⁴.

فالتجديد لغة: يقتضي وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ماغيّره وأبلاه، فإذا أعيد إلى مثل حالته الأولى التي كان عليها قبل أن يصيبه البلى: كان ذلك تجديدا⁵.

وقد وردت لفظة "جديد في القرآن الكريم في آيات كثيرة، تدل على المعنى اللغوي وهو الإحياء والإعادة لما كان موجودا واندرس قال جل جلاله: «وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَقَوْلُهُمْ أَدَّأ كُنَّا تُرْبًا أَعْنَّا لَفِي

¹ - ينظر: أحمد فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، باب الجيم وما يلحقها من المضعف: ج 1، ص: 409.

² - سورة ق، الآية: 16.

³ - ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط 1، 1412هـ، ص: 188.

⁴ - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ، ج 3، ص 111.

⁵ - أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ج 1، ص: 92.

خَلَقَ جَدِيدًا⁶، المعنى: وإن تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين فعجب قولهم: أننا كنا ترابا وطينا وعدمنا، أننا لمجدد إنشاؤنا وإعادتنا خلقا جديدا، كما كنا قبل وفاتنا⁷.

وقال سبحانه وتعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَاشْأُدَّ هَبْكُمُوتًا تَبَخَّلَقِي جَدِيدًا⁸، أي أن الذي تفرد بخلق ذلك وأنشأه من غير شريك، إن شاء أذهبكم وأفناكم، وأتى بخلق سواكم مكانكم، فيجدد خلقهم⁹.

ويقول جل جلاله في آية أخرى: «وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ¹⁰ فهذه الآيات تدل على استغراب الكفار لإعادة خلقهم وبعثهم من جديد، بعد أن أصابهم البلى، ونخرت عظامهم، فاستغربوا كيف يعيد الله خلقهم مرة أخرى، وسعى الله ذلك خلقا جديدا.

وجاء هذا اللفظ "الجديد" في الأحاديث النبوية يدل على المعنى اللغوي، من ذلك قوله ﷺ: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم¹¹.

وقال ﷺ في حديث آخر: «لولم تذنبوا لجاء الله بخلق جديد كي يذنبوا فيعفر لهم¹².

وجاء استعمال هذه الكلمة في الشعر العربي، قال ابن الرومي:

هل من سبيل إلى تجديد ودكم وهل يجدد شيء بعد إخلق¹³

وقال آخر:

⁶ - سورة الرعد، الآية: 05.

⁷ - محمد جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م ج16، ص: 346.

⁸ - سورة إبراهيم، الآية: 19.

⁹ - المرجع السابق، ص: 556.

¹⁰ - سورة السجدة، الآية: 10.

¹¹ - أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب الإيمان، باب الأمر بسؤال تجديد الإيمان، وقال : رواه ثقات، ووافقه الذهبي (4/1) وحسنه البهقي في مجمع الزوائد، (52/1).

¹² - أخرجه الترمذي، باب صفة الجنة وما جاء في نعيمها، حديث رقم 2526، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (25/6).

¹³ - ديوان ابن الرومي، ص: 462.

ليشكر بنو العباس نعى تجددت فقد وعد الله المزيد على الشكر¹⁴

وهكذا بعد استعراضنا لهذه الآيات والأحاديث والأشعار وأقوال العلماء يمكننا أن نقول:
أن التجديد لغة هو: إعادة ما خَلَقَ وبلي إلى حالة جديدة، أو إعادته إلى حالته الأولى التي كان عليها
من قبل

2- تجديد الدين: اصطلاحاً:

المعنى الاصطلاحي للتجديد بإضافة الدين إليه، يفيد المعنى ذاته، أي بإعادة الشيء إلى ما
كان عليه والمقصود بالمفهوم الاصطلاحي هنا هو اصطلاح علماء الدين وشرح الحديث الذين
فهموا معنى تجديد الدين وأدركوا المراد منه وعرفوه بتعاريف كثيرة منها:
-تعريف المناوي¹⁵ الذي تكلم عن وظيفة المجدد فقال: « أن يبين السنة من البدعة ويكثر العلم
وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم»¹⁶.
وعرفه العلقمي¹⁷ بقوله: « إحياء ما اندرس من أعمال الشريعة، وما ذهب من معالم السنن وخفي
من العلوم الظاهرة والباطنة»¹⁸.

ومن خلال هذين التعريفين يمكن القول بأن تجديد الدين له معاني عديدة منها:

-إحياء الدين في نفوس الناس، وإعادة المفاهيم الصحيحة للدين كما جاء بها الكتاب والسنة.
-تنقية الدين من البدع والخرافات والأوهام.

-ربط الدين بحياة الناس وواقعهم، ومعالجة مشاكلهم وفق تعاليم الدين ومقاصده.

-تطوير وسائل وطرق وآليات عرض الخطاب الديني، وملاءمته لأحوال المتلقي وحاجاتهم، متماشياً
مع متطلبات العصر، لأن العصر بطبعه متغير.

وهكذا فالتجديد لا يكون إلا بصلاح حال الأمة بإحياء ما اندرس من الدين ونفي كل دخيل عنه،
وتطبيقه في مجالات الحياة، مثل نشر العلوم الشرعية، وبيانها للناس، والحث على تعلمها

¹⁴ - محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة،
ط3، 1417هـ/1997م، ج2، ص: 138.

¹⁵ - محمد عبد الرؤوف المناوي الشافعي، من علماء مصر، له مصنفات كثيرة منها: فيض القدير شرح الجامع
الصغير، شرح الشمائل للترمذي، (ت: 1031هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي (204/6).

¹⁶ - المناوي، فيض القدير، شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ، ج2، ص: 281.

¹⁷ - محمد بن عبد الرحمن العلقمي، فقيه شافعي، من تلامذة السيوطي، من مؤلفاته: الكوكب المنير بشرح الجامع
الصغير (ت: 969)، ينظر الأعلام: (68/7).

¹⁸ - المناوي، فيض القدير، المرجع السابق، ج1، ص: 09.

وتعليمها، ومحاولة تقريبها لكل الأفهام بمختلف الأساليب، ومن ذلك الجهود المتواصلة في كل عصر لتفسير القرآن الكريم وبيان معانيه وأسراره، وإحياء اللغة العربية بالكلام والكتابة والخطابة¹⁹.

-منطلقات التجديد في الخطاب الديني :

لم تكن عاطفة التدين والمحبة للإسلام هي الدافع للتجديد كما يزعمون، ولكن الدعوة للمذاهب الماركسية التقدمية كان هو الدافع لذلك، والدليل على ذلك قول حسن حنفي: « والدافع على التجديد ليس عاطفة التقديس والاحترام والتبجيل الواجبة لكل موروث ديني، بل انتساب الإنسان المجدد إلى أرض، وانتمائه إلى شعب، القضية إذن ليست قضية دينية، بل قضية اجتماعية وسياسية أو فنية أو تاريخية»²⁰.

فهذا التجديد المزعوم هو هدم للدين واستبداله بتلك المذاهب فهم يريدون تجديد الدين كله بدءاً من الأصول والقواعد، وانتهاء بالفروع والتطبيقات، فلا ثوابت يعترفون بها ولا عناصر جوهرية يقبلونها.

يقول نصر حامد أبو زيد: «...وليست ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص»²¹.

ويقول في موضع آخر: « ومن غير الطبيعي أن يصير الخطاب الديني في بعض اتجاهاته على تثبيت المعنى الديني عند العصر الأول رغم تجاوز الواقع والثقافة في حركتها لتلك التصورات الأسطورية»²².

المطلع على هذه الأقوال يرى بوضوح أن العلمانيين يريدون تجديد أصول الدين وأسسها بدءاً من عقائده وأحكامه، عن طريق نفي المفاهيم القرآنية التي أطلقوا عليها لقب "التاريخية" و"وقف العمل بالنص" و"إعادة بناء الأصول" ودعوتهم تفيد أن معنى نصوص الخطاب الديني نفسها، هو معنى لا بد أن يتغير، وينفي المعنى القديم، أي أن يكون للنص الديني معنى جديد، وليس فقط تطبيق جديد، فهذه الألفاظ تثبت أن ما يريدونه ليس تجديداً، بل هو نسف للشريعة والدين من أصولهما، وتفريغ الدين والقرآن من محتواه ومدلولاتهما.

¹⁹ - دلال بنت كويران السلي، التجديد في التفسير في العصر الحديث ، مفهومه، وضوابطه، واتجاهاته، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، السنة، 1435هـ/2014م، ص: 18-19.

²⁰ - حسن حنفي، التراث والتجديد، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة، ط1، 1980م، ص: 22.

²¹ - نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، الطبعة الأولى، 1992م، ص: 118.

²² - المرجع نفسه، ص: 207.

-ضوابط تجديد الخطاب الديني المعاصر:

تجديد الخطاب الديني له ضوابطه، وضعها العلماء لكي يميزوا الخبيث من الطيب والغث من السمين والصحيح من السقيم، لأن دعوات التجديد كثيرة ومتنوعة، منها دعوات خيرة أهدافها صحيحة سليمة، فيها المصيب المحسن، وفيها من يخطئ تارة ويصيب تارة أخرى، ومنها دعوات باطلة تدعي التجديد في الخطاب الديني، وهي إلى هدمه أقرب من بنائه وتطويره وتجديده، لذا كانت الضوابط هي الحكم على كل دعوة، وبيان كل فكرة، وتقويم كل اعوجاج، وتصويب كل خطأ، وفصح ادعاء المبطلين وزيف الزائفين، ومن أهم ضوابط التجديد مايلي:

-تمييز ما يقبل التجديد مما لا يقبل ذلك، فكثير من الأمور الغيبية التي جاء بها الخطاب الديني قرآناً وسنة بنصوص صريحة صحيحة، لاتقبل التأويل ولا مجال للاجتهاد فيها كصفات المولى جل وعلا، وأصل خلق الإنسان، والجن والملائكة، والبعث، والحساب، والجزاء، ووجود الجنة والنار، وكذلك الأمور التي كانت مشاهدة وغابت عنا بسبب تقدمها في الزمن، كقصص الأنبياء والرسل وأخبار الأمم السابقة، فهذه لا يدخلها التجديد إلا بمعنى نفي الدخيل عنها، ورد ما أثير حولها من شبهات.

-ألا يؤدي التجديد إلى التصادم مع النصوص الشرعية أو الإخلال بها، لأن الأصل هو التمسك بالنصوص الشرعية وعدم مخالفتها، قال سبحانه وتعالى: « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَحَذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رُسُلِنَا الْبُلْغَاءُ²³ »، فأي تجديد يتعارض مع النصوص الشرعية القطعية لا اعتبار له، كالتجديد الذي يبيع الربا، ويلغي الحجاب الشرعي للمرأة، ويستنكر إقامة الحدود الشرعية.

-ألا يكون التجديد بما صرح العلماء برده وعدم اعتباره، فلا اعتبار للتجديد الذي يتبنى أفكاراً هدامة وآراء ضالة، كأراء الفرق الضالة التي رد عليها علماء الإسلام، وبينوا فساد أصولها.

-الاعتماد في تجديد الخطاب الديني على مناهج المتقدمين من علماء المسلمين، والنظر في أبحاثهم ودراساتهم ومؤلفاتهم، ولا بأس بتطوير هذه المناهج لكي تستوعب وتتسع لكل المعارف والتجارب البشرية المتراكمة، ولا تستبدل بمناهج مقطوعة الصلة بالإيمان بالله تعالى ورسله وكتبه.

-ومن ضوابط التجديد في الخطاب الديني، فهم الخطاب كما فهمه السلف من الصحابة والتابعين ومن تبع نهجهم، ولا يعني ذلك جمود معاني الخطاب الديني على التراث المنقول عن السلف، بل نصوص القرآن والسنة هي الأصل والمحور الذي يتسع وينساح لكل جديد من علوم ومعارف.²⁴

²³ - سورة المائدة، الآية: 92.

²⁴ - محمد العلي، تجديد الدين، مفهومه وضوابطه وآثاره، كنوز إشبيلية، الرياض، ط1، 2009م، ص: 55-69.

-معنى التجديد في الخطاب الديني:

مصطلح التجديد كسائر المصطلحات الأخرى قد يستعمل لفظه ولا يراد به معناه الشرعي الذي أثبتناه وأوردناه فكثيرا من دعوات التجديد تدعو للتغريب وللطعن في أصول الدين، وتفريغها من محتواه، وهذه الدعوات لا تكون تجديدا حقيقيا، حتى لو أطلق عليها أصحابها تجديدا وسميت بذلك فهي مرتبطة بمفهوم التجديد عند الغرب الذي ظهر في بيئة غير البيئة الإسلامية، بيئة لها ظروفها وأحكامها الخاصة، فحركة التجديد الديني في أوروبا بدأت على يد "مارتن لوتر (1483-1546م) في القرن السادس عشر الميلادي، حين شن حملة على صكوك الغفران، وعلى سلطة الكنيسة الكاثوليكية الرومية، وهكذا توالى حركات التجديد وتتابعتي الغرب، فكانت ثورة على علماء الدين واتهامهم بالكهنوت، والتخلص من سيطرتهم على النصوص المقدسة تفسيرا وفهما، وتأثر العرب المثقفون بالغرب، خاصة الذين تربوا على الثقافة الغربية، وتشربوا بأفكار المستشرقين فحاولوا إعادة النظر في التشريع الإسلامي كله دون قيد، وأرادوا تطوير الشريعة لتطابق الحضارة الغربية، أو الاقتراب منها إلى أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل على أقل تقدير²⁵.

وشاع ذلك في كتاباتهم التي تدعو إلى التغيير في أصول الدين وفروعه، لتتوافق مع تغيرات وقيم هذا العصر ومعطياته ومنطلقاته المستمدة من الثقافة الغربية المعاصرة التي هي نتاج فكر بشري محض ليس للوحي المعصوم أثر فيه، إضافة إلى خليط رديء من تحريفات اليهود والنصارى ووثنية الرومان²⁶، وهذا التجديد قد تختلف صوره وأشكاله، وقد تتفاوت درجات المنادين به قربا من الدين أو بعدا عنه، وقد تتنوع مشاربهم وثقافتهم ولكنهم يتفقون في الهدف الذي يرمون إليه، فهم يحاولون إبعاد الدين عن الحياة تارة باسم التجديد، وأخرى باسم الإصلاح، وأحيانا باسم التغيير والتطوير، ومرادهم واحد هو نقض الدين من داخله، لأنه المؤثر الوحيد في حياة المسلمين ، وينادون إلى الأخذ بالأساليب الغربية في مناهج دراسة التراث، وبالأخص في الخطاب الديني، بحجة أن مناهج الأقدمين عفا عليها الزمن، ولا تصلح للدراسة العلمية المقننة في العصر الحاضر، يقول

²⁵ - محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، الناشر، دار الفرقان، 2008، ص: 38.

²⁶ - ينظر: تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد شاكر الشريف، ص: 37.

الجابري²⁷ «لأسبيل إلى التجديد إلا من داخل التراث نفسه، مع ضرورة الاستعانة بوسائل عصرنا المنهجية والمعرفية»²⁸.

وكذا الاستهانة بالتراث الإسلامي وإنتاج السلف في مختلف العلوم الإسلامية والادعاء بأنه وليد عصره، محصور بوقته، ولا يمكن تطبيقه في العصور الحديثة، والأخطر من ذلك أنهم لا يعترفون بالمصدر الإلهي للتشريع، ويتعاملون مع القرآن باعتباره نصاً قابلاً للنقد والرد، ومن ثم نزع القداسة والتبجيل عنه، وهذا وإن لم يصرح به جميعهم إلا أنه تدل عليه أبحاثهم ودراساتهم.

-المراد بالتجديد في الخطاب الديني:

تجديد الخطاب الديني، يعني: إحياءه، ببيان مفاهيمه الصحيحة وتنقيته من البدع والخرافات والدخيل من الأفكار وربطه بواقع الناس، ولا يعني التجديد في العلوم الشرعية فحسب، بل هو أعم من ذلك، فهو تطبيق لتلك العلوم ومبادئها، وإصلاح يشمل كل ماله علاقة بالحياة في ضوء مقاصد الشريعة وأهدافها.

-الخطاب الديني بين التجديد والتقليد :

الخطاب الديني شامل للإنسان والزمان كشمول الشريعة التي يركز عليها، فالخطبة الدينية والدرس المسجدي خطاب ديني، والمحاضرة والندوة خطاب ديني²⁹، ويختلف هذا الخطاب تبعاً للمشارب العقدية فنجد الخطاب السني، الخطاب السلفي، الخطاب الصوفي، الخطاب الشيعي، وهذا الاختلاف أفرزته عوامل تاريخية سياسية وثقافية... ولا زالت تأثيراتها سارية إلى اليوم.

والخطاب الديني على اختلاف مشاريعه وأفكاره واتجاهاته لا يخرج عن نوعين من الخطاب : خطاب متصل بالتقليد، وآخر بالتجديد، يقول الجابري: "قد يكفي التذكير بأن اقتناعنا بأن القرآن الكريم يخاطب أهل كل زمان ومكان يفرض علينا اكتساب فهم متجدد للقرآن بتجدد الأحوال في كل عصر"³⁰.

²⁷ - محمد عابد الجابري، كاتب ومفكر مغربي، ولد سنة (1936م)، عمل أستاذاً للفلسفة والفكر العربي الإسلامي، في كلية الآداب بالرباط، من أبرز كتبه: "رباعيته في نقد العقل العربي" (ت: 2010م).

²⁸ - ينظر: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط9، بيروت، 2009، ص: 568.

²⁹ - عاشور بوقلقولة، الخطاب الديني وأبعاده المقاصدية، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف – الجزائر- السنة الخامسة. العدد الأول رجب، 1428هـ، جويلية 2007م، ص: 60.

³⁰ - محمد عابد الجابري، فهم القرآن، القسم الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2009م، ص: 9.

غير أن أصحاب هذا النوع من الفهم والتجديد يعتقدون أنهم حرروا فهم القرآن من الحواجز والضوابط بتطبيق آليات معاصرة³¹ في فهم الخطاب الديني، ولكنهم وقعوا في مغالطات كثيرة، فالآليات المعاصرة حين تطبيقها على أي نص ديني وبالأخص النص القرآني، فإنها تفرق أكثر مما تجمع المسلمين في الفهم، لأن هذه الآليات تسمح لأي شخص أن يفهم القرآن وفقا لرغباته وأهوائه، بل يؤدي إلى تغيير الأحكام الفقهية، وهذا ماوقع فيه أبو زيد في معظم كتبه خاصة كتابه "دوائر الخوف"، ونتج عن ذلك أن هذا الخطاب الحدائي "يتمسح بالمقاصد لإلغاء الشرع، فهو خطاب يقدم العقل على الشرع، والواقع على النص"³².

وهناك خطاب حرفي ظاهري، هو خطاب التيارات الإسلامية بما فيها السلفية، والحركات الإسلامية، والفرق الأخرى، التي تجتمع على تقديس النص الديني، ولكنها بعيدة عن الواقع، ولا تسعى في حل مشاكل المسلمين، بل جل خطاباتها الدينية مبنية على إذكاء الصراع، والدخول في دائرة التكفير لبعضها البعض، مما ولد العنف والتطرف والانغلاق في التفكير، وعدم تقبل الآخر، فخطابها يوصف بأنه "يلغي الفكر والعقل ويقف بعيدا عن مقصود الشارع وغايته"³³.

وهكذا نرى أن الخطاب التقليدي ولد التطرف والعنف والانغلاق في التفكير، والخطاب التجديدي ولد أخطاء منهجية فبدلا من بناء فهم إسلامي صحيح، ساهم في هدمه بحجة الحرية في الفكر متجاهلا الضوابط العلمية ملغيا حتى المقاصد الشرعية.

وهكذا يتبين لنا أن الخطابين التقليدي والتجديدي أو الحدائي لا يمثلان حقيقة الفهم الصحيح للإسلام، وخصوصا القرآن الكريم الصالح لكل زمان ومكان، لذلك ينبثق فهم آخر مختلف عن سابقه يبجل النصوص ويحترم الواقع والعقل، والدين عنده لا يتعارض مع العلم، وصريح المعقول لا يخالف صحيح المنقول فهو خطاب بناء لاهدم، يحرك المشاعر، ويستميل القلوب، ويتلاءم مع طبائع النفوس، يرغب أكثر مما يرهب، يهدف إلى إسعاد الناس جميعا دنيا وأخرة.

³¹ - الآليات المعاصرة: يقصد بها مجموع الأدوات والمناهج التي طبقت في قراءة النصوص بأنواعها المختلفة دينية أو فلسفية أو أدبية في الفترة المعاصرة، خصوصا بعد تطور البحث في مناهج النقد الأدبي، وتطور البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي أيضا المناهج التي استفاد منها الكثير من المشتغلين في مجال القرآن الكريم، كأركون وأبو زيد وغيرهم، الذين فكروا في نقلها إلى ميدانه وذلك لفهمه وقراءته.

³² - عاشور بوقلقولة، المرجع السابق، ص: 61.

³³ - عاشور بوقلقولة، المرجع السابق، ص: 60، 61.

-قصدية الخطاب الديني ومآلاته:

هناك جملة من الاعتبارات يجب توفرها في الخطاب الديني لكي يصل إلى جميع الناس، وخاصة العوام، أو الناس العاديين غير المتخصصين، أهمها³⁴:

- 1- الوفاقية: وتعني بأن يكون الخطاب الديني يجمع ولا يفرق، يسدّد ويقارب: وهذا بالاهتمام بالأمور المشتركة أكثر من الأمور المتنازع والمختلف فيها، بل عدم التطرق إليها إطلاقاً.
- 2- الصدقية: وتكون بالإخلاص للفكرة والمبدأ، وخلو الفهم من شوائب الايديولوجية والتعصب والتطرف.

3 - الواقعية: وتتجلى في التركيز على القضايا والظواهر والمشاكل الراهنة التي يراها الناس من الأولويات التي يجب حلها.

4- التفتح: يجب على الخطاب الديني أن يكون متفتحا على الخطابات الأخرى، حتى ولو كانت مختلفة عنه، لأن التفتح يؤدي إلى الوحدة، والبحث عن نقاط الاشتراك أكثر من نقاط الاختلاف، وعدم اعتبار نقاط الاختلاف من أصول الإسلام.

5- التلاؤم: وهو مراعاة أحوال المكلفين، فيختلف الخطاب الموجه للشباب عن خطاب الشيوخ، وخطاب المثقفين عن خطاب غير المثقفين، كما يتلاءم الخطاب مع المتغيرات والأحوال والأوضاع، لأن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، ولا يعني ذلك أننا نغير الأحكام.

من خلال ماسبق يتبين لنا أن الخطاب الديني المعاصر، خطاب يتماشى مع متطلبات العصر، يساير كل التطورات والمتغيرات، يتلاءم مع مختلف الخطابات، يرتبط بواقع الناس، ويحل مشاكلهم، ينبذ العنف والتطرف والاختلاف، يتميز بالوسطية والاعتدال في الطرح، وتقبل الآخر، يعالج كل القضايا المختلفة، يدعو إلى الفكر والتدبر، وإمعان النظر، يحارب الجمود والانغلاق والإقصاء، يقبل من الآراء والأفكار ما لم يكن منها منحرفاً، ينطلق من التراث ويعتمد عليه، ويقبل التجديد وفق ضوابطه ومقاصد الشريعة منه، مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهو نص ديني يوحد ولا يفرق يدعو إلى الحكمة، والمجادلة بالتي هي أحسن ويحاور الآخر في إطار السلم والأمن والتعقل والعلم.

خاتمة:

من خلال ماسبق يتبين لنا أن الخطاب الديني، خطاب يتماشى مع متطلبات العصر، يساير كل التطورات والمتغيرات، يتلاءم مع مختلف الخطابات، يرتبط بواقع الناس، ويحل

³⁴ - للتوسيع أكثر ينظر: بشير خلف، الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال، الندوة الفكرية الثامنة، الرابطة الولائية للفكر والإبداع، ولاية الوادي، مزار للطباعة والنشر، 2010م.

مشاكلهم، ينبذ العنف والتطرف والاختلاف، يتميز بالوسطية والاعتدال في الطرح، وتقبل الآخر، يعالج كل القضايا المختلفة، يدعو إلى الفكر والتدبر، وإمعان النظر، يحارب الجمود والانغلاق والإقصاء، يقبل من الآراء والأفكار ما لم يكن منها منحرفاً، ينطلق من التراث ويعتمد عليه، ويقبل التجديد وفق ضوابطه ومقاصد الشريعة منه، مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهو نص ديني يوحد ولا يفرق يدعو إلى الحكمة، والمجادلة بالتي هي أحسن ويحاور الآخر في إطار السلم والأمن والتعقل والعلم.

*القرآن الكريم.

*الأحاديث النبوية.

*المصادر والمراجع:

- (1) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ج 1، ص: 92.
- (2) أحمد فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، باب الجيم وما يليها من المضعف: ج 1.
- (3) تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد شاكر الشريف.
- (4) حسن حنفي، التراث والتجديد، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة، ط 1، 1980م.
- (5) دلال بنت كويران السلي، التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه، وضوابطه، واتجاهاته، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، السنة، 1435هـ/2014م.
- (6) الراغب الأصفهاني، المفردات، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط 1 1412هـ.
- (7) عاشور بوقلقولة، الخطاب الديني وأبعاده المقاصدية، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف -الجزائر- السنة الخامسة. العدد الأول رجب، 1428هـ، جويلية 2007م.
- (8) محمد العلي، تجديد الدين، مفهومه وضوابطه وآثاره، كنوز إشبيلية، الرياض، ط 1، 2009م.
- (9) محمد بن عبد الرحمن العلقمي، فقيه شافعي، من تلامذة السيوطي، من مؤلفاته: الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير (ت: 969)، ينظر الأعلام: (68/7).

- (10) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج3.
- (11) محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م، ج2.
- (12) محمد جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م ج16.
- (13) محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط9، بيروت، 2009.
- (14) محمد عابد الجابري، فهم القرآن، القسم الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2009م.
- (15) محمد عبد الرؤوف المناوي الشافعي، من علماء مصر، له مصنفات كثيرة منها: فيض القدير شرح الجامع الصغير، شرح الشمائل للترمذي، (ت:1031هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي (204/6).
- (16) محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، الناشر، دار الفرقان، 2008.
- (17) المناوي، فيض القدير، شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ، ج2.
- (18) نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، الطبعة الأولى، 1992م.